(١)

لا تقلق وكن فخوراً بالإسلام

obeikan.com

obeikan.com

لا تقلق فأنت مسلم وهذا يكفيك . لا تحزن فأنت مؤمن وهذا يكفيك ، لا تهن وأنت الأعلى لأنك مع رب العزة وهو أقوى الأقوياء .

لا تقلق فإن الله موجود ، وهذه حقيقة علمية ومعنوية معاً ولا تحزن فمحمد ﷺ رسوله والقرآن من عنده بكل الإثباتات اليقينية العلمية والمعنوية.

الله تعالى موجود ، والروح موجودة ، وإلا فكيف تفسر لي هذا الإبداع الفني من موسيقى وشعر ورسم وكذا القوانين والأخلاق ، لو كان الإنسان مادة كما يزعم الملحدون والعلمانيون عموماً ، فكيف تنتج المادة موسيقى وشعر ورسم وكذا القوانين والأخلاق وفي الحقيقة فإن هذه النقطة قد ناقشها الأستاذ علي عزت بيجوفيتش في كتابه « الإسلام بين الشرق والغرب » المترجم إلى اللغة العربية والمكتوب أصلاً بالإنجليزية في الأجزاء الأولى وقد أتى الرجل بآلاف الأدلة والمناقشات التفصيلية التي تثبت بما لا يدع مجالاً للشك وجود شيء غير مادي في الإنسان ومن ثم حقيقة وجود الروح ووجود الله تعالى الذي خلق هذا الإنسان وخلق كل شيء ليس هذا فحسب بل إن مجرد التفكير في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وغيرها من الأمور اللا نهائية من آيات الخلق في الكون والإنسان والحيوان والنبات والجماد يقود إلى وجود الله وكثير من الذين ناقشتهم من الكفار يقولون أنه لا مشكلة في الاعتراف بوجود الله ولكن المشكلة من وجهة نظرهم في كيف خلق الله هذا وكيف يديره ، وكذا في الأديان هل هي صادقة أم كاذبة ، وهذه المعضلة المتصورة هي معضلة الفلسفة في كل تاريخها ، ذلك أن الإنسان يصل إلى معرفة وجود الله بكل سهولة ويسر فلا يكتفي بهذا بل يريد أن يعرف كيف خلق الله الكون ، وكيف يديره ، هل العالم قديم أم محدث ، ما هو القضاء والقدر ، ما مسئولية الإنسان عن أفعاله ، هل هو مسير أم مخير ... الخ، وفي الحقيقة فإني أزعم أن أحداً حتى الآن لم ولن يصل إلى إجابة عن أسئلة كثيرة تتعلق بالكيف ، لأن العقل البشري غير قادر أساساً على فهم هذه الأمور ، وهذا

من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، قد يطلع أحد من خلقه في الدنيا والآخرة على شيء من ذلك ، أو لا يطلع ، فهو مطلق الحرية ، المهم أن ما يحتاج إليه الإنسان من معرفة الله ، ومن تمييز صدق الأنبياء ، ومن معرفة الحق من الباطل ، وكذا ما يلزم من فهم القوانين المادية التي تساعده في حياته وتجعله يعمر الأرض قد زوده الله بها ، وهذا يكفي ، ولذا فإن دراسة الفلسفة عملية هامة وضرورية ومفيدة بشرط أن نعرف حدودنا ، فنفكر في وجود الله وأن هناك روح ، وشيء خارج المادة ، وأن المادة وحدها غير قادرة على تفسير الحياة ، أما مسألة كيف فعل الله هذا ومتى وبأية طريقة فهذا خارج إطار قدرات الإنسان العقلية والنفسية أصلا ، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا أن إنساناً ما لو صمم سيارة مثلاً وحاولت السيارة أن تفكر كيف يتحرك الإنسان ، فبالطبع سوف تتصور السيارة أن الإنسان يتحرك بالبنزين وله أربعة عجلات ... الخ ، وهذا معناه أن ما ينطبق من قوانين على الإنسان لا ينطبق على الله تعالى ، فإذا كان قانون العلية والسببية والزمان والمكان وعدم التضاد والتناقض وغيرها من البديهيات العقلية تنطبق على الإنسان فإنها لا تعمل في إطار قدرة الله تعالى ، لأن هذا مجال آخر.

أما بالنسبة إلى الأديان فأنت كمسلم تستطيع أن تكتشف بعقلك البسيط أو المركب أو المتوسط أن محمد رسول الله ﷺ صادق ، وأن القرآن ليس من صنع البشر ، لأن هذا القرآن الكريم وكذا سيدنا محمد قد توقع أشياء كبرى قد حدثت بعد عدة سنوات أو آلاف السنين وكذلك هناك إعجاز علمي في القرآن الكريم في عشرات أو مئات الآيات ، ولكن هناك فرق بين وجود حقائق علمية في القرآن ووجود نظريات قد تثبت صحتها أو خطئها فيما بعد ، ومشكلة الذين كتبوا أو تكلموا في الإعجاز العلمي للقرآن قد وسعوا الدائرة بأكثر مما تتسع ، وحاولوا تحميل الأشياء أكثر مما تتحمل فأخطؤوا فكان رد الفعل من البعض رفض هذا العلم كله فأهدروا أمراً هاماً هو من دلالات إعجاز القرآن في هذا العصر الذي يسمى عصر العلم ، ذلك بأن إعجاز القرآن متعدد ومتنوع ولكل عصر ما يلائمه

من هذا الإعجاز ، فقد كان إعجازاً لغوياً لأهل مكة أصحاب الشعر والبلاغة أو إعجازاً قانونياً تشريعياً لأهل القانون إو إعجازاً وجدانياً لذوي النفوس الشفافة وإعجازاً علمياً لهذا العصر ، ولا تقلق أخي المسلم فإن مجرد قراءة القرآن تعطيك بعض ملامح هذا الإعجاز العلمي ، ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . أو تقرأ كتاباً في الإعجاز العلمي للقرآن شريطة أن تلتزم فقط بالحقائق العلمية .

أما بالنسبة لي فإنني آمنت بإعجاز القرآن وأنه من عند الله وليس محمد وهكذا فإن محمد نبي مرسل ﷺ من أشياء بسيطة جداً ، انظر إلى قول الله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم]. وقد حدث هذا فعلاً، فكيف عرف النبي ﷺ أن الروم سينتصرون على الفرس بعد بضع سنين، وتصور أن العكس قد حدث لو لم يكن الرسول مبعوثاً من الله الذي يعلم المستقبل وحده ، والرسول ذاته يقول : قل ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ . فالرسول إذن لا يعلم الغيب وهذه الحادثة وحدها تدل على صدق نبوة محمد ، ثم انظر إلى قول الله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ . ومن المعروف أنه لم يحدث في كل التاريخ موالاة بين اليهود والنصارى إلا في هذا العصر وتحديداً بعد أن تحالفت أوروبا وأمريكا مع إسرائيل ، وهذه الآيات تتحدث عن الغرب وإسرائيل، ولا تتحدث عن نصارى الشرق مثلاً أو اليهود الذين يرفضون إقامة دولة إسرائيل لأنهم تنطبق عليهم الآية ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ ، فأمريكا وإسرائيل هم من قاتلنا في الدين وأخرجونا من ديارنا انظر ماذا

فعلوا بفلسطين والفلسطينيين ومصر والأردن وسوريا ولبنان ؟ ثم ماذا فعل الأمريكيون في العراق وأفغانستان والصومال والجرائم أكثر من أن تحصى ؟

وهكذا فإن تلك الآيات هي من الإعجاز المستقبلي في القرآن الكريم حيث تحدثت عن حالة حدثت بعد ما يزيد على ١٣٠٠ سنة ، والآية تحذر الذين يتحالفون مع أمريكا وإسرائيل وإذا ما ناقشت هؤلاء الذين يسارعون إلى أمريكا وإسرائيل أو أمريكا وحدها تراهم يقولون نحن نخدعهم ، نحن نخاف منهم ، نحن نكسر عدوانهم بإرضائهم والحوار معهم . . . الخ وهذا عين ما قاله القرآن الكريم وكأن محمد ﷺ كان يسمعهم قبل ألف و ٣٠٠ عام ، ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ وانظر إلى قول الله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، فبعد عصر مراهقة العلم وظن البعض أن العلم قادر على كل شيء ، تبين أن الإنسان بكل علمائه وعقوله لا يستطيع أن يحيط بالحقائق العلمية بإظفر واحد من أظافر اليد اليمنى أو اليسرى أو يدرك أسرار العقل مثلاً أو ما يتم في الأمعاء فضلاً عن الإحاطة بدراسة كل الكائنات والخلايا والطحالب والحيوانات والطيور والبحار واليابسة بل إنه لو أراد دراسة كل شيء عن سنتيمتر واحد مربع في أي مكان بما فيه من مادة وفيروسات وبكتريا لاحتاج إلى مئات السنين مثلاً ، ومن ثم فلو أراد الإحاطة بكل شيء وهو لن يحيط لاحتاج عمراً يساوي عمر الكون تريليونات المرات وهذا رقم صغير جداً .

انظر كذلك لتدرك أن الإسلام دين الحق إلى تركيب العين مثلاً بل تركيب جهاز الشبكية داخل العين ، بل أحد طبقات جهاز الشبكية الذي يتكون من طبقة رقيقة بها خمس طبقات في إحدى الطبقات ٦ مليون عصية عصبية مرتبطة بطريقة معينة لو تغير تركيبها أو شكلها أو واحدة من تلك العصيات العصبية لما رأى الإنسان ، وعلم التباديل والتوافيق والاحتمالات الرياضية في ترتيب ٦ مليون عصية عصبية يحتاج إلى عدد لا يمكن لكمبيوتر ذاته أن يحسبه ، وهو يزيد على

كل الأرقام المعروفة وغير المعروفة ، إذاً لو كان الأمر مجرد صدفة لاحتاجت زمن ضعف زمن الكون تريليونات المرات إلى ما لا نهاية ، وهذا يدل على وجود الله ، وهذا من الإعجاز القرآني ، لأن القرآن الكريم يقول : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ولا شك أن أي عالم فلك أو مضطلع جيد على علم الفلك يدرك تلك الآيات ، وكذلك علماء البيولوجي والطب والكيمياء وغيرها إذا ما درسوا أي عضو في الإنسان لاكتشفوا ذلك .

وهكذا فأنت تؤمن بالله الحق والدين الحق ، فلا تقلق .

لاتخاف من دراسة الفلسفة مثلاً ، لا تخاف فأنت مسلم تؤمن بأن الله هو الذي خلق الإنسان ، وأودع في عقله عدد من البديهيات العقلية التي لا يمكن لا للعقل ولا للحس ولا الإدراك المادي أن يحصل عليها ويسمونها في فلسفة المعرفة: البديهيات العقلية مثل « عدم التناقض » ، فلا شيء يجتمع مع نقيضه ، ولا يمكن إثبات الشيء وعكسه في نفس الموضوع ، وقانون العلية والسببية ، وقانون عدم وجود شيء في أكثر من مكان في نفس الوقت ، وقانون أن الكل أكبر من الجزء وهكذا .

وليقل لي الملحدون: هل يستوي العلم والرياضيات بدون هذه البديهيات ؟ ومن أين جاءت هذه البديهيات للإنسان لو كان ذا مرجعية مادية ، أليست قبساً من نور الله ومن روح الله ؟ فسبحان الله العظيم .

***

لا تحزن ولا تقلق ولا تهن وأنت الأعلى ولا تخاف ولا تخشى من شيء .

ولكن عليك أن تدرك دورك في الحياة ، وهل أنت قادر عليه ، فإذا لم تكن قادراً عليه فإن الله حاشا لله قد كلفك بما لا طاقة لك به ، وهذا مستحيل ، إذن أن تعرف دورك فهذا من صميم إحساسك بالأمان والراحة وعدم الحزن أو القلق أو

الخشية.

مهمتك في الحياة ليس الانتصار ولا إخضاع الأعداء ، بل فقط أن تكون شاهداً على الناس ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ وقد قام الرسول ﷺ بواجب الشهادة علينا ، وعلينا أن نقوم بواجب الشهادة على الناس ، فكيف تكون الشهادة على الناس : بأن تقول الحق ولا تخشى في الله لومة لائم ، فإذا لم نكن قادرين على قول الحق فلنصمت ولا نشهد زوراً وكذلك بالصدق وعدم الكذب .

ولذا فإن الرسول ﷺ قال أن المسلم ممكن أن يقتل أو يسرق أو يزني ولكنه لا يكذب ، لأن الصدق مرتبط بأداء الشهادة على الناس .

لا تقلق ولا تحزن ، لأنك غير مطالب بالانتصار على الكفار ، كل ما يعينك أن تكون صادقاً وشاهداً نزيهاً ، وتأمل معي أن الحياة التي سجلها التاريخ مثلاً حوالي عدة آلاف من السنين من ٤ آلاف إلى عشرة آلاف في أقصى التقديرات ، وما وصلنا أنها في معظمها تاريخ من أحداث الظلم والجور والتعسف فيما عدا فترة لا تزيد عن ٣٠ : ٤٠ سنة هي عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، إذن الدنيا قائمة على الظلم والانحطاط لأن حياة وحكم دولة الرسول والخلفاء الراشدين لا تمثل في نسبة الزمن الظالم إلا حوالي ١ إلى ٣ ٪ من الزمن إذن الأصل في الدنيا والدول والمجتمعات هو الانحطاط ، وهذه حكمة من الله تعالى ، إذ لو كانت الدنيا دار عدل لما كان هناك مبرر للآخرة والجزاء والعقاب والجنة والنار ، إذن عليك أن تبدأ من حقيقة أن الدنيا دار ظلم وأن عليك أن تناهض الظلم في حدود طاقتك ولا تقول إلا الصدق ولا تشهد زور ، وأنه ليس عليك تحقيق النجاح ، بل من شبه المستحيل إلا استثناء تحقيق هذا النجاح ، ومن ثم لا تشغل نفسك بالنتائج ولعل هذه أحد أخطاء الحركات الثورية في التاريخ وخاصة الإسلامية منها التي تتنازل عن ثوابتها وأخلاقياتها لكي تحقق نجاحاً ولا تدرك أنها تفعل المستحيل أولاً

وأنها تسيء للدين ثانياً ، وتهدر دورها الحقيقي في مقابل دور وهمي .

لا تقلق فأنت تملك المنهج الصالح والنظام الصالح والتصور الصالح شريطة أن تدرك حدود دورك فلا تتعب نفسك في أدوار ليست لك . عليك أن تقيم الحجة على الناس فمثلاً لا تعترف بأمريكا لأنها قامت على إبادة شعب آخر حتى لو فعل الجميع ذلك ولا تعترف بإسرائيل ، ولا تتعاون مع الظالمين ، ولا تبحث عن رزقك بالكذب أو الجريمة ... الخ .

***

obeikan.com

obeikan.com

الدولة المستحيلة

للأستاذ د. وائل حلاق وهو مفكر من أصل فلسطيني وأستاذ في علم الاجتماع وهو بالمناسبة مسيحي وعلماني كتاب بعنوان الدولة المستحيلة ، يرى أن من المستحيل إقامة دولة إسلامية في إطار النظام العالمي السائد في العالم ويشرح أسباب ذلك من ناحية علم الاجتماع .

وبديهي أنه لكي تقوم دولة إسلامية قادرة على تطبيق الشريعة فإن هذا يعني أن تلك الدولة ستفرض قواعدها على العالم شاء أم أبى وهو ما يعني أن الهيمنة في الدنيا لصالحها ، أو على الأقل هناك تعادل حضاري أو توازن رعب متبادل .

ولعل هذه الحقيقة – حقيقة أن العالم الإسلامي أو الحضارة الإسلامية الآن هي في حالة هزيمة تكنولوجية عسكرية اقتصادية سياسية ، وهذا ما يقود البعض إلى القول أن الغرب أفضل منا ، وهذا غير صحيح ، فالقوة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية لا تعني الأفضلية ، بل أن المسلم أفضل إنسان في الكون لأنه لم يخضع حتى الآن للمرجعية المادية أو اللا معيارية التي تسود العالم والتي تفضي إلى التوحش والحوسلة والتشيؤ ودمار الإنسان وعدم مرجعية الأخلاق وغيرها ، فالذي يتمسك بدينه ومن ثم أخلاقه – وهو المسلم حتى الآن ، لأن عدد من يذهبون إلى المساجد أكثر بكثير من عدد من يذهبون إلى الكنائس ، ومن ثم فإن الذي سيحافظ على العالم من الخضوع الكامل للعلمانية والمادية واللا معيارية حتى الآن هو المسلم ، وعلى كل حال فلا تحزن أيها المسلم حتى لو خضع العالم كله للمادية أو اللا مرجعية أو اللا معيارية أو غيرها ، لأنك تدرك أن ذلك ممكن أن يحدث لأن الله أخبرنا بذلك ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا

أَوْ نَهَارًا ﴾ .

بمعنى أنه من الممكن أن تصبح المادية قادرة على السيطرة على كل شيء ويصبح الإنسان مجرد مادة استعمالية حتى ولو كان يسيطر بالعلم على كل المواد ويحقق أعلى إنتاج بمعنى أن يتصور أهل الأرض أنهم قادرون عليها فيأتي أمر الله وتقوم القيامة .

في عالم تسوده الرأسمالية وما يسمى بحقوق الإنسان وحقوق المرأة المزعومة وحركات التمركز حول الأنثى وقوانين مؤتمرات الأسرة وزعم أمريكا والغرب أن هناك قيماً حضارية مطلقة ينبغي الخضوع لها ، فإن من المستحيل تطبيق قواعد الاقتصاد الإسلامي مثلاً أو حتى مجرد تحريم الربا ، وهذا النظام الاقتصادي الربوي – لا رأسمالية بدون بنك ولا بنك بدون ربا . فإن من المستحيل استمرار الدولة الإسلامية والأمر نفسه بالنسبة للقوانين والشرائع الإسلامية ولا بد من تطويع القوانين الإسلامية لتصبح ملائمة للعصر فتظهر ما يسمى بالليبرالية الإسلامية ، أو ما يسمى بالحل الوسط التاريخي بين الحضارة العلمانية المادية والحضارة الإسلامية وقد حدث هذا بالفعل حيث تخلت حركات إسلامية عن الإسلام وقواعد وثوابت الدين وعبدت آلهة الغرب يوماً وعبدت الله يوماً آخر مثل أردوغان في تركيا وراشد الغنوشي في تونس والإخوان المسلمين في مصر ، ويزعم هؤلاء أنهم يفعلون ذلك لكي يفوتوا الفرصة على الغرب وأمريكا لضربهم ، أو كنوع من المرونة أو أنهم يخدعون أمريكا والغرب والعلمانيين وهي كلها أمور مضحكة لأن الله ذاته قد رد على هؤلاء بقوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ ، بمعنى أن منطق من يقبلون أن يهادنوا الغرب أو يقيموا علاقات أو ود مع أمريكا أو الغرب في قلوبهم مرض .

نجد مثلاً أن الحركات الإسلامية مثل أردوغان في تركيا يأخذ الموقف وعكسه في اليوم الواحد فتارة مع أمريكا وتارة مع روسيا ، وتارة مع بشار الأسد وتارة ضده ، وتارة مع داعش وتارة يضربها ... وكذلك الموقف بالنسبة لراشد الغنوشي الذي تنازل عن ثوابت إسلامية كثيرة من أجل قبول الغرب به ، أو أن أردوغان يحل الزنا وإعلانات الزنا وكذا الخمر والميسر ويفتخر بذلك قائلاً أنه لا يفرض سلوكاً معيناً على أحد ثم يدعي الإسلامية وكذلك الإخوان المسلمين مثلاً الذين يذهبون إلى أمريكا لإنقاذهم ويقولون أنه من باب المرونة والحكمة . من الأفضل طبعاً أن نسقط وهم السلطة والدولة ونكتفي بموقف الضمير الحي أي إقامة الشهادة على الناس ، أفضل من الوقوع في الشرك فنعبد إله الغرب يوماً ونعبد الله يوماً آخر ، بمعنى أن العلمانيين يعبدون إله الغرب طول الأسبوع والإسلاميون يعبدونه يوماً بعد يوم .

ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، إذ لو كان الأمر موضوع مرونة ودهاء وسياسة ولف ودوران وكذب ، لقبل سيدنا رسول الله ﷺ أن تجمع له قريش المال فيكون أغناهم ، وأن يجعلونه رئيساً عليهم كما عرضوا عليه فرفض وقال : «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري**» وكان من الممكن مثلاً أن يصبح رئيساً وغنياً ثم يدعو إلى الإسلام على طريقة منطق هؤلاء الإسلاميين الذين يقولون سنداهنهم ونقبل بشروطهم ونتخلى عن الثوابت حتى نصبح يوماً ما ، أقوياء فنعلن ديننا الحقيقي ألا ترى أن ذلك نوع من الذين في قلوبهم مرض .

أما أنت أيها المسلم فلا يهمك أن تقيم سلطة أو دولة إلا بشروطك فإن توفرت فأهلاً بها وإن لم تتوافر أظل شاهداً على الناس .

وفي الحقيقة فإنه في حالة الهزيمة الحضارية أي أن المسلمون أقل قوة ومكانة مادية من غيرهم فإن الأمر يسير بثلاثة طرق إما إقامة دولة إسلامية ومواجهة العالم كله وقد فعلت داعش ذلك ولم تتخل عن أي من ثوابت الإسلام الذي فهمته حتى

ولو كان هناك أخطاء في منهجها أو سلوكها ، المهم أنها متسقة مع نفسها وصادقة مع نفسها ، وإما أن نهادن الغرب وأمريكا ونؤمن ببعض الكتب ونكفر ببعض ونعبد الديمقراطية وحقوق المرأة والليبرالية والعلمانية يوماً ونعبد الله يوماً ، وإما وهذه الثالثة هي أفضل الحلول أنه في حالة الهزيمة الحضارية بمعنى أنني غير قادر على فرض أسلوبي على العالم ، فإنه يكفي أن أصبح جماعة ضمير بمعنى أن أقف موقف نظري وإعلامي فقط من أي قضية فأرفض مثلاً إسرائيل وأمريكا والاستعمار وأي ظلم يقع على أي إنسان في أي مكان .

تخيل مثلاً لو أن الحركات الإسلامية انصرفت عن قصة الدولة المستحيلة هذه وعن السلطة وتحولت إلى جماعة ضمير فأعلنت أنها لا تعترف بأمريكا لأنها دولة قامت على إبادة شعب آخر ولا تعترف بإسرائيل ولا تعترف بالرأسمالية أليس هذا هو في حد ذاته نوع من الدعوة إلى الإسلام في العالم كله ، لأن الناس سيكتشفون أنه ما زال هناك بشر لا يقرون الباطل حتى لو أصبح أقوى دولة في العالم ، وأن هناك أناس يقولون الحق ولا يبالون بالنتائج .

لا تقلق أخي المسلم ولا بد أن تدرك أنك الآن لست في الدولة العباسية التي ينظر الخليفة المسلم فيها إلى السحابة ويقول: « أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك»، أما الآن فمن يقول ذلك هو رئيس أمريكا مثلاً بوش أو بوتين أو ترامب، ومن ثم فإنك لا تحزن ولا تحول المستحيل ولا تقلق إذا اكتفيت بأن تكون ضمير يشهد بالصدق ولا يكذب ويقيم الشهادة برأيه وسلوكه على الناس .

***

نعم الحضارة الغربية متفوقة علينا . وهذا لا يحزننا بل ربما يفرحنا ، لأننا كنا سادة العالم حوالي ١٠٠٠ عام ولم نرتكب جرائم حضارية مثلما فعلت الحضارة الغربية ، ولم نكره الناس على الإسلام ، رغم أننا كنا الأقوى وكان قانون تلك الأيام أن يكون الناس على دين ملوكهم ، ومع ذلك ظلت هناك أقليات مسيحية ويهودية

وزرادشتية ومجوسية وملحدين في قلب الحضارة الإسلامية وفي قلب العالم الإسلامي ، وهذا يدل على تفوقنا الأخلاقي وليس المادي فقط ، أما الحضارة الغربية فهي قد أبادت شعوب أمريكا واستراليا ، واسترقت السود ونهبت العالم في عصر الاستعمار ، وألقت القنابل الذرية وأنشأت دولة إسرائيل وقتلت الملايين في مذابح وحروب من الحرب العالمية الأولى والثانية إلى حرب الخليج وغزو العراق وجرائمها تحتاج إلى مجلدات ، يستوي في ذلك الرأسماليون والشيوعيون والاجتماعيون والملكيون والجمهوريون ، فالكل ارتكب الجرائم التي لا تعد ولا تحصى .

وهكذا فأنت يا أخي المسلم لا تحزن ولا تقلق ، لأنك على خلق لا يوجد في الإنسان الغربي إلا بعض الاستثناءات التي تؤكد القاعدة ، وما يهم الإنسان بوصفه إنسان هو الخلق وليس التقدم المادي لأننا نؤمن أن الدنيا ليست إلا محطة قصيرة إلى الآخرة ، المهم ألا نتورط معهم ولا نقرهم ولا نهادنهم ولا نسارع إليهم كما يفعل البعض منا من حكومات وجماعات إسلامية وسياسية . . . الخ .

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ، وهذه آية من آيات إعجاز القرآن ، لأن المؤمن لا يحزن وهو العالي دائماً سواء كان متقدماً مادياً على الآخرين أم متخلفاً عنهم ، وهذا بالطبع لا يعني العجرفة والتعالي الزائف والغرور ، بل المسئولية بإقامة الشهادة على الناس وأن يمتلك المسلم روح الانتصار وليس مادية الانتصار أو عجرفة القوة ، بل الإحساس بالانتصار دائماً حتى وهو في أصعب مواقفه .

انظر إلى سيدنا عيسى ابن مريم نبي الله ابن الإنسان ، الذي رفض أن يداهن الدولة الرومانية ، بل انعزل عنها وأعلن عن سلطة الروح في مقابل سلطة الدولة المادية والسياسية والزمنية .

لقد كان عيسى ابن الإنسان يأكل من العسل البري وينام في الشارع أي لا يملك بيتاً ولا يعمل عند الدولة الرومانية ، وقاد ثورة ضد الشكل لحساب الجوهر والتدين الزائف الذي يمثله الغربيون والمتورطين مع رأسماليين وجهاز الدولة من اليهود ، وهكذا كان منتصراً حتى لو كان قد سيق إلى الصليب وظنوا أنهم صلبوه ، ولكن الله أنقذه من الصلب بإرادة مباشرة منه تعالى سبحان الله .

وانظر إلى سيدنا الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ كيف خرج وهو يدرك تماماً أنه مهزوم دنيوياً ومادياً لأنه لم يكن أمامه سوى أن يقاتل بسبعين من أهله ضد جيش جرار ، ولو انسحب لما عاب عليه أحد ، ولكن كان سيتم تفسير الإسلام تفسيراً عائلياً يجعله دين لا علاقة له بالله أو بمحمد ، الحسين فضل الموت لإعلاء الحق وعدم الاعتراف بالباطل فانتصر رغم شكل الهزيمة ، انتصر للإنسان وللقيمة وللدين ولمحمد ولله تعالى .

وهكذا نتعلم أن الموقف يكون واضحاً أو السكوت والتحول إلى ضمير بالرفض الساكن أو إقامة الحجة بالكلام فقط أفضل ألف مرة من أن نعمل مع الرأسماليين وأمريكا ونبرر لها ثم نقول أنها خطة لتمكين الإسلام وتصدر مؤلفات وأقوال ومواقف تبرر هذا وتقعده أي تجعله قاعدة شرعية ، فيتم تزييف الإسلام وإخراجه من الإسلام ويصاب الناس بالبلبلة وتقليد القيم البراجماتية وإخضاع الدنيا من ثم للمادية واللا معيارية بدون نتوءات أي أن تكون مهمة الإسلاميين الذين يقبلون ذلك – وهم جميعاً ما عدا داعش ولا يعني هذا أن داعش لا تخطئ أو ليست لها أخطاء وخطايا ولكن على مستوى الولاء والبراء فهم واضحون حسب ما يتصورون ويكفي أن ثمانين دولة تحاربهم ويواجهونها بصدورهم – أن تكون مهمة الإسلاميين هي علمنة الإسلام من داخله والقضاء على مرجعيته من داخلها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة

لا تقلق ولا تحزن ولا تيأس ، فأنت ترفض العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة معاً ، لأنهما شيء واحد أو مراحل في متتالية نماذجية كما يقول عبدالوهاب المسيري مؤلف كتاب «العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة» ، والرجل لأنه بلا حسابات ولم ينتم يوماً إلى جماعة أو حزب أو شلة فتشوه وجدانه وتشوه موضوعيته ، وهو ضد العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة معاً ، مع أن الحركات الإسلامية توافق شيئاً ما على العلمانية الجزئية وتحاول أن تفصلها عن العلمانية الشاملة ما عدا داعش طبعاً .

وفي الحقيقة فإن فهم موضوع العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة مدخل صحيح وهام للمسلم لكي لا يحزن ولا يقلق ولا ييأس .

العلمانية بالنسبة لي وللدكتور عبد الوهاب المسيري هي المرجعية المادية أو اللا مرجعية في ظاهرة ما بعد الحداثة وهي دين الغرب وديدنه وهي ملحدة تنكر وجود الله ، ولا فرق بالنسبة لي بين العلمانية الجزئية أو العلمانية الشاملة بل هي مراحل زمنية ومكانية للعلمانية وهي تقود إلى متتاليات نماذجية تؤدي إلى جعل الإنسان مادة وإنهاء فكرة وجود الله تماماً أو تقود إلى سيولة شاملة حيث لا مرجعية أصلاً بل نسبية مطلقة ، فليس هناك علمانية طيبة وأخرى شريرة أو علمانية بيضاء وأخرى سوداء بل العلمانية هي مرجعية المادة سواء أكانت جزئية أو شاملة أي كافرة وهي التي أنتجت الفاشية والنازية والرأسمالية والشيوعية ، وهي التي أنشأت الإمبريالية والغزو الغربي والحروب والمجاعات وتسليح الإنسان وجعله شيئاً مادياً وهي بالضرورة ضد الدين والأخلاق والتراحم ، ضد

الأسرة والفرد والإنسان ضد كل ما هو جميل في العالم .

وبديهي أن العلمانية تقود إلى فناء العالم أو تعاسته يقول عبد الوهاب المسيري في كتابه «العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة» – دار الشروق القاهرة – ٢٠٠٢ ص ١٠٢ « لا يمكن أن يكتب البقاء لمجتمع إنساني إن كان أعضاؤه يعتقدون أنهم يعيشون في عالم لا معنى له » ويرى جلال أمين « أن العلمنة ليست تغريباً وحسب بل هي أمركة بالدرجة الأولى » .

ويرى عبد الوهاب المسيري أن هناك التقاء بين الإسلاميين وغير الإسلاميين في القبول بالعلمانية الجزئية فإن كل من محمد أحمد خلف الله وحسين أمين ووحيد عبد المجيد وفؤاد زكريا ومحمود أمين العالم ومحمد عابد الجابري يريدون المحافظة على الحيز الإنساني ، حيز الهوية والخصوصية والثوابت والقيم الأخلاقية وهم مع الديمقراطية والعقلانية والعلمانية الجزئية .

يقول عبد الوهاب المسيري ص ١٢٢ – المرجع السابق – أن فهمي هويدي يميز بين تيارين علمانيين يسميهما المعتدلين والمتطرفين وهما يقابلان إلى حد ما العلمانيين الشاملين والجزئيين في مصطلحنا ، ويضيف عبد الوهاب المسيري نقلاً عن فهمي هويدي « أن فهمي هويدي يرى ضرورة قبول التيار العلماني المعتدل المتصالح مع الدين ، وهو التيار الذي يتحفظ على تطبيق الشريعة لا لأنه ضدها – بل هو ضدها – ولكن لأن المنتمين إلى هذا لتيار يحسبون أن هذا التطبيق قد يهدد قيماً معينة يدافعون عنها مثل الحرية والديمقراطية والمساواة وما إلى ذلك وهو موقف شريف يتعين فهمه واحترامه – والكلام مازال لفهمي هويدي كما نقله عنه عبدالوهاب المسيري ص ١٢٣ من كتاب «العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة» ، وعلى الإسلاميين – والكلام لفهمي هويدي – أن يتعاملوا معهم على قاعدة الإعذار أولاً ثم الحوار ثانياً ، لاقتناعهم بأن المشروع الإسلامي لا يهدد تلك القيم التي يدافعون عنها ، فالدعوة إلى التعامل مع المشروع العلماني المعتدل لا تعني القبول به ،

ولكنه تعبير عن حرص على توفير حق التعبير والمشاركة لأصحاب الرأي الآخر ، دفاعاً عن مصلحة المجتمع وسعياً إلى إنجاز المشروع الوطني العام الذي هو ملك للأمة بمختلف قواها وتياراتها وليس ملكاً لفصيل دون آخر » .

ويضيف فهمي هويدي نقلاً عن المسيري ص ١٢٣ « إننا نذهب إلى أن كل تيار سياسي يحترم عقيدة الأمة ويلتزم بنصوص الدستور المعبرة عن ذلك ، يصبح من حقه أن يكتسب الشرعية وأن يكون شريكاً في الحياة السياسية للمجتمع الإسلامي ينطبق ذلك على مختلف فصائل العلمانيين سواء كانوا ليبراليين أو قوميين أو ناصريين أو ماركسيين ، أما أهل التطرف العلماني المخاصمين للدين فلا مكان لهم في إطار الشرعية ، إذ أنهم لا يهددون عقيدة المسلمين وحدهم ولكنهم يهددون الإيمان نفسه إسلامياً كان أم مسيحياً أم يهودياً ، أن الحوار بين فصائل الأمة المختلفة ممكن في إطار التعريفات الجزئية » .

ويعلق الدكتور عبد الوهاب المسيري على ذلك قائلاً « ص ١٢٤ » « ولعل الذين قرؤوا مقال فهمي هويدي لاحظوا أن مطالبة الإسلاميين بتأكيدهم قبول التعددية التي تشمل التيار العلماني كان موقفاً التقى عليه رأي آخرين من أهل الفقه والنظر وفي مقدمتهم الدكاترة يوسف القرضاوي وأحمد العسال ومحمد سليم العوا وسيف عبد الفتاح وأبو العلا ماضي وعادل حسين» .

ويختم الدكتور عبد الوهاب المسيري القول قائلاً: « ومما يجدر ذكره أن فهمي هويدي ليس وحيد في موقفه هذا ، بل يمكن القول بأن هذا الرأي هو الرأي الممثل للتيار الإسلامي ويمكن أن نضيف إلى الأسماء التي أوردها الأستاذ فهمي هويدي في مقاله الأسماء التالية : راشد الغنوشي « تونس » بارفيز منظور «باكستان» عزام التميمي « فلسطين » أحمد داود أوغلوا « تركيا » طه جابر العلواني «العراق» وعبد المجيد أبو سليمان « السعودية » ومجموعة المعهد العالي للفكر الإسلامي وغيرهم عشرات .

وهكذا فإن عبد الوهاب المسيري يرى أن هناك التقاء بين فهمي هويدي ويوسف القرضاوي وسليم العوا وسيف عبد الفتاح والمذكورين السابقين جميعاً مع محمود أمين العالم وفؤاد زكريا ومحمد أحمد خلف وآخرين وهذه مأساة كاملة بالنسبة للإسلام السياسي ، الذي بلع صعم علمنة الإسلام من الداخل أو القبول بما يسمى بالعلمنة الجزئية مع أنه ليست هناك إلا علمانية واحدة ، وهكذا فهمنا لماذا دعمت إنجلترا حسن البنا مثلاً؟؟ ولماذا دعمت أمريكا أوباما وهيلاري كلينتون محمد مرسي وخيرت الشاطر؟؟ ، ما دام هذا النوع من الإسلام يؤدي إلى تفسير الإسلام تفسيراً علمانياً وعدم احترام الشريعة ، ومن ثم الفصل بين الشريعة والعقيدة وعلمنة الإسلام من الداخل ، أليس هذا أسهل من الغزو العسكري وإرهاق جيوش الغرب في القضاء على الإسلام .

هذا المشروع الإسلامي التغريبي العلماني لا يمت للإسلام بصلة ولعل قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ .

وهكذا فإن من يقبل بالعلمانية الجزئية ينطبق عليه هذا الوصف وسوف ينال الذل في الدنيا ضعف الحياة والآخرة « ضعف الممات » ثم لا يجد له نصيراً حيث يأتي ترامب بدل أوباما وكلينتون فيذهب الإسلاميون للاستنجاد بأمريكا لتنصرهم، فلا تستمع لهم وتلقيهم في مذبلة التاريخ؟؟! .

وإذا حللنا مضمون كلام فهمي هويدي نجد أنه يقبل بالتعاون مع العلمانية الجزئية ، وهو يعتبر نفسه بديلاً لأمة الإسلام ، ومن ثم فهو يعطي جزء من هذه الأمة للعلمانيين ولا بأس في ذلك ، ثم يعتبر الوطن هو المرجعية وليس الله ، فالمشروع الوطني هو الغاية وليس الشهادة على الناس بالحق كما هو واجب المسلم وهكذا فإن الإسلامي يسيء إلى الإسلام ، ولم يبق غير المسلم لنخاطبه بالتمسك بالله ومحمد والإسلام والعقيدة والشريعة ويرفض كل أنواع العلمانية

وتجلياتها من الديمقراطية والرأسمالية والشيوعية والقومية وما بعد التاريخ والمرجعية المادية وما بعد الحداثة واللا مرجعية والتمحور حول الأنثى والصهيونية والفاشية والنازية ... الخ وحتى لو كان الإنسان هذا فرداً فهذا يكفيه فالله يحاسب البشر فرداً فرداً وليس جماعات وقطعاناً .

ولعل أخطر ما ارتكبه الإسلاميون في حق الإسلام أنهم تصوروا أنهم بديل للأمة وأنهم هم الإسلام ، وبدلاً من أن يكونوا خميرة تذوب في العجين فيصلح للخبيز ، تصوروا أن عليهم أن يلتهموا العجين وهو أمر مستحيل طبعاً ، وهكذا كان الاضطراب الحادث في المجتمعات الإسلامية بسبب الإسلاميين بل إنهم تحولوا إلى ما يشبه شعب الله المختار ، وبدلاً من أن يعبدوا الله جعلوا الله يحل في جماعتهم فيعبدون الجماعة أو التنظيم بدلاً من أن يعبدوا الله ، فمن يخالفهم كافر يحق لهم قتله أو سبه بأقبح الصفات ، ومن لا يؤيدهم فهو خارج الملة بصورة من الصور حتى ولو كانت استنباطاً وأصبح المسلم داخل الجماعة غير المسلم خارج الجماعة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ وأصبحت الملائكة تنزل رابعة العدوية ومحمد مرسي يصلي إماماً بسيدنا رسول الله ، بل ووصل الأمر بأحدهم أن يقول على منصة رابعة التي يسيطر عليها الإخوان وهو الشيخ فخري السعيد أن من لا يؤمن بعودة محمد مرسي فقد كفر بالله ورسوله والإسلام وهكذا أضاف شرطاً إلى شروط الإسلام التي يعرفها المسلم وهي الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين والقضاء والقدر ... .

وإذا كان عبد الوهاب المسيري يرى أن الله حل في الصهيونية فأصبحت هي المرجعية وهي الله نفسه وهي المطلق والنسبي معاً وما بداخلها هو الصحيح حتى لو كان قتلاً وتقتيلاً وتشريداً للفلسطينيين ، فإن الأمر قريب من هذا مع الجماعات التي تعتبر نفسها صحيحة على طول الخط ، وما يقوله قادتها هو الصواب وأي رأي تراه هو الدين بعينه ، إنها نفس الفكر الحلولية .

obeikan.com

الخوارج والشيعة

تحويل الفرق السياسية إلى فرق دينية

في كل دين وكل اتجاه سياسي كبير بل وكل تيار فكري عميق – يظهر اختلاف في تفسير الفكرة بين متشدد وشكلي ومعتدل ويميل إلى الجوهر ، أو يحول هذه الفكرة إلى شخصنة عائلية أو قبلية ، وهكذا فإنه كان من الطبيعي أن تظهر في الإسلام حركات متشددة لها تفسير معين للدين مثل الخوارج وأخرى تربط الدين بأسرة معينة « آل البيت » مثل الشيعة ، والمشكلة هنا أن الفكرة تكون في البداية خلاف سياسي ثم ما يلبث أن يتحول إلى خلاف ديني ، بمعنى أن كل مجموعة ترى رأياً سياسياً تحاول أن تقول أنه موقف ديني ويأتون بالنصوص وأحياناً يؤلفونها لتأييد موقفهم ثم يبدؤون في تكفير من يخالفهم في ذلك ، ويعتبرونه مرتداً عن الدين وفيما عدا أهل السنة والجماعة التي لم تكفر أحداً سواء الخوارج أو الشيعة أو المعتدلة ... الخ – فإن كل الفرق الأخرى مارست قدراً من التكفير والإخراج من الملة – وبديهي أن تلك الفرق امتدت فكرياً بطريقة جزئية أو كلية لتظهر فرق دينية أو سياسية أخرى تحمل نفس السمات حتى ولو لم تكن منطبقة انطباقاً هندسياً على الفرق الأولى ، وهذه مشكلة لا يزال العالم الإسلامي يعاني منها، وبديهي أيضاً أنه حتى داخل الفرقة الواحدة ، تظهر فرق متعددة يكفر بعضها بعضاً .

فلا تقلق أخي المسلم ، طالما أنك لم تكفر أحداً من المسلمين الذين ينطقون بالشهادتين ويصلون إلى الكعبة .

الخوارج

يقول الدكتور محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٩٦: « ظهر الخوارج في جيش علي – رضي الله عنه – عندما اشتد القتال بين علي ومعاوية في صفين ، وذاق معاوية حر القتال ، وهم بالفرار حتى أسعفته فكرة التحكيم ، فرفع جيشه المصاحف ، ليحتكموا إلى القرآن ولكن علياً أصر على القتال حتى يفصل الله بينهما ، فخرجت عليه خارجة من جيشه تطلب إليه أن يقبل التحكيم فقبله مضطراً لا مختاراً ، وكما اتفق مع خصومه على أن يحكما شخصين أحدهما من قبل علي والآخر من قبل معاوية ، واختار معاوية عمرو بن العاص وأراد علي بن أبي طالب أن يختار عبد الله بن عباس ولكن الخوارج حملته على أن يختار أبا موسى الأشعري ، وانتهى أمر التحكيم إلى النهاية التي انتهى إليها ، وهي عزل علي وتثبيت معاوية ، واشتد بهذا التحكيم ساعد البعض الذي يقوده معاوية ، ومن غريب هذه الخارجة « الخوارج» التي حملت علياً على التحكيم وحملته على محكم بعينه ، أن جاءت من بعد ذلك واعتبروا التحكيم جريمة كبيرة ، وطلبت من علي أن يتوب عما ارتكب ، لأنه كفر بقبول التحكيم ، كما كفروا هم وتابوا ، وتبعهم غيرهم من أعراب البادية ، وصار شعارهم لا حكم إلا بالله ، وأخذوا يقاتلون علياً بعد أن كانوا يجادلونه » .

ويضيف محمد أبو زهرة « وهذه الفرقة أشد الفرق الإسلامية دفاعاً عن مذهبها ، وحماسة لآرائها ، وأشد الفرق تديناً في جملتها وأشدها تهوراً واندفاعاً ، وهم في اندفاعهم وتهورهم متمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر ديناً مقدساً ، لا يحيد عنه مؤمن ، وقد استرعت ألبابهم كلمة « لا حكم إلا لله » فاتخذوها ديناً ينادون به فكانوا كلما رأوا علياً يتكلم قذفوه بهذه الكلمة ، وقد استهدفتهم فكرة البراءة من سيدنا عثمان والإمام علي والحكام الظالمين من بني أمية ، حتى احتلت أفهامهم واستولت على مداركهم استيلاءً تاماً وسدت عليهم

كل طريق يتجه بهم إلى الوصول إلى الحق ، أو ينفذون منه إلى معاني الكلمات التي يرددونها ، بل إلي معاني حقائق الدين في ذاتها ، فمن تبرأ من عثمان وعلي وطلحة والزبير والحكام الظالمين من بني أمية سلكوه في جمعهم ».

وهكذا فنحن أمام طائفة من الناس شديدي التدين – تحقر صلاتك إلى صلاتهم وتحقر صيامك إلى صيامهم – وهم شديدي الشجاعة بل والفداء والرغبة في الموت والاستهداف للمخاطر ، وأنهم غير منافقين ، بل يؤمنون بما يقولونه ويفعلونه ، وليسوا طلاب دنيا ومصالح .

وهكذا فإننا يمكن أن نجد التدين الشديد أو الشجاعة الشديدة ، والإخلاص ليست دليلاً على الصحة فاجتماع العلماء أن الخوارج على خطأ ، بل إنهم أيضاً علمونا أنه من الممكن أن يقول الإنسان كلاماً صحيحاً ، ولكنه لا يصيب به الحق، فهم يقولون: « إن الحكم إلا لله » وهذا كلام حق وصحيح تماماً ، ولكن الإمام علي رضي الله عنه رد عليهم بقوله : « كلمة حق يراد بها باطل » .

وهكذا علمتنا تجارب تلك الفترة أن من الممكن أن يكون هناك حق يراد به حق – وهذا هو موقف المسلم – وحق يراد به باطل وهذا موقف ضيقي الأفق . وباطل يراد به باطل وهذا موقف النصابين وغيرهم .

وقد اتخذ الإمام علي رضي الله عنه موقفاً ناضجاً منهم ، فلم يعتبرهم كافرين بل عاملهم كمسلمين بغاة ، ولم يبدأ بقتالهم ، إلا بعد أن مارسوا الأذى على المسلمين والناس ، وقد أحدث الخوارج اضطراباً شديداً في المجتمع الإسلامي – يفعله أشباههم الآن – بدعوى أن الحكم لله ، وبدعوى تكفير عثمان وعلي ومعاوية وغيرهم ومن ثم التبرؤ منهم ومن لم يتبرأ منهم يصبح كافراً مثلهم يجوز قتله ، ووصل بهم الأمر إلى حد أنهم اغتالوا الإمام علي بدعوى التقرب بذلك إلى الله .

ولعل هذا الخلل الكبير في الفهم هو تجربة لنا لكي نفهمها ولا نقع فيها تحت عناوين براقة .

الشيعة

الشيعة نموذج لفكرة تحويل الخلاف السياسي إلى دين ومن ثم إفساد السياسة والدين معاً .

بداية فإن معركة الجمل التي وقعت بين علي وأصحابه وبين طلحة والزبير والسيدة عائشة ، أي أن الطرفين كل مبشر بالجنة علي وطلحة والزبير والسيدة عائشة – رضي الله عنهم أجمعين – هي زوجة النبي ﷺ في الجنة – ولو كان الصراع صراعاً دينياً لكان أحد الطرفين كافر والآخر مؤمن ، وكيف يكون كافراً والرسول ﷺ بشره بالجنة هل يدخل الجنة كافر ، أم أن الرسول حاشا لله كاذباً ؟

إذن فهو صراع سياسي كل طرف يرى نفسه على صواب والآخر على خطأ ولو ظل الصراع صراعاً سياسياً لانتهى أمره بانتهاء زمنه وظروفه ولكن المشكلة أن تحويله إلى صراع ديني يجعله يمتد في الزمان والمكان ويسبب المشاكل إلى يومنا هذا .

ولو اعتبر شيعة علي أي أنصاره أن صراعه مع طلحة والزبير وعائشة ثم معاوية وعمرو بن العاص مجرد صراع سياسي كان علي رضي الله عنه على الصواب والآخرون على خطأ لانتهت المسألة بهدوء بانتهاء ظروفها وزمانها ، ولكن الشيعة حاولوا أن يضيفوا بعداً دينياً على الصراع فاضطروا إلى تأويل النصوص وأحياناً ألفوها تأليفاً وانتهى الأمر إلى صراع مازال موجوداً وجرائم ترتكب من أمثال التعاون مع الكفار على أهل السنة مثل الدولة الصفوية .

شيعة علي هم أنصاره الذين انحازوا إلى معسكره السياسي في إطار الصراع مع الخارجين على خلافته وخاصة الأمويين ، وهكذا فإنهم كانوا على الصواب في رأينا

ما دام الأمر أمر سياسة وليس دين .

انتهى الأمر بمقتل سيدنا علي واستلام الحسن بن علي الخلافة بعد أبيه وقبل الصلح مع معاوية ليحقن دماء المسلمين على أن يعود الحكم شورى بين المسلمين بعد معاوية ، ثم مات الحسن بن علي ، وأصبح الحسين هو رمز الموالين لعلي وآل البيت – وبالمناسبة حب آل البيت فريضة – ولكن هناك فرق بين الحب واعتبارهم أئمة معصومين وأن هناك بعضاً يجعلهم هم أئمة الأمة وليس غيرهم كما يرى الشيعة ولكن معاوية قام بتوريث ابنه يزيد الملك والخلافة فكان هذا نكوصاً على الاتفاق مع الحسن الذي تم الصلح وحقن دماء المسلمين بموجبه ، فخرج الحسين ومعه ٧٠ من أهله إلى كربلاء ليطلب أن يعود الأمر شورى بين المسلمين ولم يخرج معه أحد من المسلمين غير أهله – وقتل ببشاعة في كربلاء مع أهله الأمر الذي أحدث صدمة كبرى لدى المسلمين ، لأنهم رأوا ظلماً فادحاً يوقعه جيش يزيد بالحسين وآل البيت الذين خرجوا معه ، ولأن المسلمين تخاذلوا عن نصرة الحسين رغم أنه كان على الصواب .

ولعل رد الفعل النفسي دفع في اتجاه تطرف الشيعة واستنباطهم أحكاماً دينية وهي وإن كانت موجودة من قبل في صورة بسيطة تحولت إلى عقائد وقواعد فبدلاً من أن يكون علي أفضل الصحابة أصبح هناك نص ديني يجعل الإمامة في علي وذريته بأمر من الله ومن يخالف ذلك فقد عصى الله ومن ثم أصبح أبو بكر وعمر وعثمان من العصاة وأنهم اغتصبوا ليس الحق السياسي لعلي بن أبي طالب ، بل الحق الديني وأصبح الإمام معروفاً من قبل كما تدعي الاثنا عشرية ، وأن الإمام معصوم ولكن الأمر لم يخل من جدل داخلي داخل الشيعة أنفسهم ، فبعد الحسين ابن علي جاء ابنه علي زين العابدين ، الذي قاد الشيعة في حياته وبعد موته كان هناك فريقان في الشيعة ، فريق يرى أن يخفف غلواء التشيع الديني متمثلاً في زيد بن علي زين العابدين ، الذي قال بأن علي أفضل الصحابة ، ولكن تجوز ولاية المفضول

أي تجوز ولاية أبو بكر وعمر وعثمان . وقد قام زيد بثورة على الخليفة الأموي هشام بن عبد الله ، إلا أنه قتل في تلك الثورة بالكوفة .

وفريق آخر تجمع حول محمد الباقر ، الذي يرى أن هناك نص ديني على إمامة علي ونسله ، وأن الأئمة اثنى عشر ولذلك يسمونهم بالشيعة الاثنا عشرية ، وأن أوصافهم موجودة في كتاب أملاه الرسول ﷺ على فاطمة ، وهكذا فنحن الآن أمام تشيع ديني متماسك .

وقد أحدث الزيدية عدداً من الثورات فيما بعد ، أما الشيعة الاثنا عشرية فقادهم محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ، وكان من المفروض وفق عقائدهم أن يكون الإمام من بعد جعفر الصادق هو إسماعيل بن جعفر الصادق إلا أن إسماعيل مات في حياة ابنه جعفر الصادق ، فانقسم هؤلاء إلى فريقين ، فريق يرى أن إسماعيل هو إمام حتى ولو مات في حياة أبيه ، ومن ثم تكون الإمامة من بعده إلى ابنه وظهرت بذلك طائفة الإسماعيلية التي لا تزال موجودة حتى الآن والتي نجحت في إقامة دولة في مصر وشمال أفريقيا هي الدولة الفاطمية ثم نشأت فرقاً من الإسماعيلية أشد تطرفاً مثل الحشاشين وهكذا .

أما الفريق الثاني فيرى أن الإمامة للابن الثاني لجعفر ما دام ابنه الأكبر قد مات في حياة والده ، لأنه لا يصح أن يكون هناك إمامان يعيشان معاً في نفس الوقت ، ومن ثم فإن الإمام هو موسى الكاظم ولذلك تسمى الشيعة الإمامية أو الاثنا عشرية أو الموسوية نسبة إلى موسى الكاظم ، وتتابع الأئمة من هؤلاء الاثنا عشرية فكان الإمام علي الرضا ثم محمد الجواد ثم لعلي الهادي ثم للحسن العسكري وهناك أصبح الأئمة أحد عشر وحسب عقائد هؤلاء التي نشروها وبشروا بها فإن الإمام الثاني عشر الذي سيكون آخر الأئمة سيفتح الأرض كلها ويملأها عدلاً بعد أن ملئت جوراً – وهو المهدي المنتظر – الذي سينزل المسيح عليه السلام ليصلي خلفه ، وهكذا فإن الشيعة وصلوا إلى مأزق فلو ظهر الإمام الثاني عشر ولم يفعل

ذلك ، لكان مذهبهم باطل أصلاً وفرعاً ، وهكذا قاموا بالادعاء بأن الإمام الثاني عشر الذي هو ابن الحسن العسكري – محمد الحسن العسكري – قد دخل سرداباً في دار أبيه بمدينة « سامراء » وأنه اختفى ولم يمت حتى الآن وما زال موجود حياً يأكل ويشرب وأنه الإمام الغائب الذي سيخرج يوماً ليحقق ما بشرت به أخبارهم ومن ثم أصبح من عقائد الشيعة الاثنا عشرية مسألة المهدي المنتظر الغائب الذي سوف يعود .

ولما طالت غيبة الإمام رأى علماء الشيعة وخاصة الإمام الخوميني الذي قاد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، أنه يجوز في حالة غياب الإمام أن يقوم أحد علماء الشيعة الكبار بالنيابة عنه ، ومن ثم يجوز له قيادة الشيعة ، أي ما يسمى بولاية الفقيه التي تعتبر أهم أركان الفقه الشيعي المعاصر .

obeikan.com

تحرير فلسطين

أهم قضية – بل أهم مشكلة تواجه العالم العربي والإسلامي – تواجه العرب والمسلمين هي قضية فلسطين ، فهل يمكن تحريرها ؟

لا تقلق أخي المسلم . نعم ببساطة شديدة يمكن تحريرها .

قد يقول قائل كيف يمكن تحريرها ، وإسرائيل أقوى دولة عسكرياً في المنطقة، بل أن الغرب جعل جيشها أقوى من كل الجيوش العربية مجتمعة ، وكذا فإن وراءها الجيش والاستخبارات الأمريكية والنفوذ في مجلس الأمن ، والفيتو وهلم جراً .

هذا كله صحيح ، ولكن من قال أصلاً أن تحرير فلسطين سوف يكون عن طريق القوة العسكرية .

الأمر ببساطة ، أننا لو دعونا كل اللاجئين الفلسطينيين ، وكل العرب وكل المسلمين وكل أحرار العالم ، للزحف سلماً على فلسطين من سوريا ولبنان والأردن ومصر ، وهب أنه تجمع عدة ملايين من اللاجئين الفلسطينيين ومثلهم من العرب ومثلهم من المسلمين وعدد من أحرار العالم ، وزحفوا إلى فلسطين سلماً ، فمن يستطيع أن يمنع ٥٠ مليون أو حتى عشرة ملايين من الوصول واجتياز الحدود ودخول فلسطين المحتلة سلماً ، هل يمكن أن تقتل القوات الإسرائيلية مليون مثلا، من وجهة نظري لا يمكن ، فالعالم رغم أن ضميره مطاط ، فإن المطاطية لا تصل إلى قتل الملايين الزاحفين سلماً ، هذا أمر فوق طاقة البشرية، ومن ثم فلو دخلت هذه الملايين إلى فلسطين سلماً لتحررت فلسطين فوراً .

والحقيقة إنني أدعو إلى هذه الفكرة منذ ثمانينيات القرن الماضي ، وكتبت في ذلك مقالات وكتب وحوارات تليفزيونية دون أن يستمع إلى أحد ، بل إن العجيب والغريب أن الذين كانوا يسخرون من الفكرة أو يسفهونها كانوا هم الزاعمين بأنهم يريدون تحرير فلسطين ، فالإيرانيون مثلاً الذين يزعمون أنهم يدعمون حزب الله وحماس والجهاد الفلسطيني ، أكثر الناس معارضة للفكرة ، لأنها تفسد عليهم سبوبة الزعم بأنهم يتصدرون الصفوف في مواجهة إسرائيل ، وكذلك الحركات الإسلامية والقومية والوطنية ، ويبدو أن سبوبة فلسطين كبيرة جداً ، لدرجة أنهم لا يريدون إلا طريقتهم التي فشلت منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن حتى تستمر السبوبة والحقيقة أن هذه الفكرة ليست فكرتي ، بل هي نتيجة التأمل في القرآن الكريم .

يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ .

إذن هذه السورة تتحدث عن المسجد الأقصى وما حوله أي عن القدس وما حولها أي فلسطين كلها .

وفي الآيات ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ .

الآيات تتكلم عن علو وإفساد لبني إسرائيل مرتين وهو ما لم يحدث في التاريخ حتى الآن ، إلا هذه المرة ، لأن العلو الأول الذي حدث في عهد نبي الله سليمان ، كان علواً فقط بدون إفساد ، لأن سليمان نبي معصوم ، وكانت بني إسرائيل ساعتها ليست فاسدة ولا كان ملك سليمان فساداً ، إذن نحن أمام أول حالة علو

وإفساد معاً لبني إسرائيل .

وهكـذا فـإن الله ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ أي جاسوا بمعنى مشوا وليس قاتلوا أو هذا هو المعنى المباشر لكلمة جاسوا ، فلماذا نخرجها عن معناها المباشر والعباد الذين سيبعثهم الله ليجسوا خلال الديار أولي بأس شديد ، أي صابرين يتمسكون بالصبر.

وحتى لو أخذنا بتفسيرات أخرى بمعنى أننا في حالة الإفساد الثاني ، فالأمر سيكون كما دخلوه أول مرة أي جاسوا مرة أخرى ومشوا وهكذا فالحل بسيط هو الزحف بالملايين سلماً على فلسطين ، ولكن أصحاب السبوبة لا يريدون أن يستمعوا إلى هذه الفكرة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

obeikan.com

الإنسان الضبع

قصة قصيرة

هذا مصنع نموذجي ، إنه ينتج من إطارات الكاوتشوك أكثر مرة ونصف من أي مصنع كاوتشوك في العالم ، وذلك لأن الإدارة فيه تعتمد على العلم والعلم وحده ، وإذا كانت المادة تخضع للقوانين العلمية فقط فإن العامل هنا يخضع للقواعد العلمية وحدها ، لا مكان لدينا للعواطف أو الحب أو الكره ، بل للرياضة والمنشطات التي يتناولها العمال فيعملون أكثر بصورة آلية .

قال مدير المصنع السيد « أ » هذا وهو فخور أمام مجموعة من الصحفيين في ذكرى مرور عام على بدء الإنتاج في المصنع ثم أردف قائلاً: كما ترون الآلة والإنسان أصبحتا شيئاً واحداً ، بل إن العمال لدينا لا تعرف أسماءهم بل هم مجرد أرقام ، فإذا عمل في الوردية ألف عامل مثلاً فإن الإنتاج يكون ٢٠٠ إطار ، وهكذا فالمسألة كلها حسابات فقط .

سأل أحد الصحفيين سيادة المدير قائلاً : هل لديكم عمال لا يتجاوبون مع هذا النظام الآلي الدقيق ؟

قال المدير نعم هناك ولكننا نتخلص منهم شيئاً فشيئاً حتى يصبح العمل آلياً وحسابياً بنسبة ١٠٠ ٪ ، إن هذا يثبت أن طريق الحضارة طريق آلي وحسابي فقط ، فليس الإنسان إلا جزء من المادة وعلينا تنميطه شيئاً فشيئاً ليصبح مادة فيخضع لقوانين المادة ، ومن ثم يصبح العمل أكثر دقة وانضباطاً ويزيد الإنتاج وهذا يعود على العاملين بالمال أكثر ومن ثم يصبحون قادرين على اقتناء سيارات أو شرب

الخمر ومعاشرة النساء أكثر .

رد صحفي آخر وهل يسمح بالعلاقات الجنسية بين العاملين؟

المدير نعم ولكن في أوقات الراحة ، لا مشكلة لدينا في العلاقات الجنسية – بل إننا نرى العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة أكثر ملائمة لنا لزيادة الإنتاج ، بل حتى لو حدثت علاقات مثلية جنسية بين رجل ورجل أو امرأة و امرأة فهذا يسرنا ولا يضيرنا أو على الأقل لا يعنينا ، إننا نريد أن نضع نموذجاً خاضعاً لقوانين الطبيعة فقط ، وهذا هو سر نجاح مصنعنا .

انتهى المؤتمر الصحفي وبدأت ساعات أخرى من العمل وورديةأخرى من العاملين ، إنهم يتمتعون بأجسام رياضية ، والرياضة في هذا المصنع جزء من النشاط المفيد ، وتناول العمال حبوباً منشطة يزيد في قدرتهم على المزيد من العمل والنشاط ، كأن النعمة بادية عليهم – قال العامل « ب » وهو مثلي الجنسية لآخر «ج» هل نلتقي اليوم بعد العمل؟ فأجابه الآخر: نعم سيحدث وسنقضي وقتاً ممتعاً، وربما نتفق في النهاية على أن نتزوج بعضنا البعض .

قال ب « ولكنك تتزوج ولك ابن من زوجتك » ، قال « ج » وما المانع أن تكون الأسرة مني ومنك ومن الزوجة والابن ، أليس هذا هو التطور الطبيعي للحضارة .

قال « ب » ولكن زوجتك بدورها لها صديقة أنثى فهل يتزوجان أيضاً .

قال « ج » لا مانع ولينضم الجميع في أسرة واحدة وهذا سوف يزيد الأبناء اقتراباً من النموذج المادي لحضارتنا التي لا تعترف بما يسمى الأخلاق ، والأخلاق مجرد خدعة من الضعفاء لابتزاز الأقوياء .

قال « ب » حسناً فلتعمل بجد ونشاط حتى تحصل على المزيد من المال ليتسنى لنا شراء الخمر والمخدرات ، قال « ج » لقد تناولت جرعتين من

المنشطات لأحقق إنتاجية أعلى هذا اليوم الذي سوف يكون ختامه علاقة حميمة بيننا ، قال « ب » لا تقل كلمة حميمة فهذه كلمة أسقطناها من القاموس فاستبدلها بكلمة علاقة أكثر لذة أو أكثر مادية لتكون لغتنا انعكاساً لثقافتنا .

في هذا الوقت بالتحديد جاء العامل إبراهيم الذي رفض أن يتنازل عن اسمه وطلب الدخول إلى وردية العمل – فقال له مسئول الوردية إنك تأخرت ربع ساعة وسيتم خصم نسبة من أجرك ، قال إبراهيم لا بأس . قال مسؤول الوردية: إذن تفضل بتناول حبة من المنشط حتى تكون أكثر قدرة على العمل ، رفض إبراهيم ذلك بقوة وقال: هذا لا يليق بي كإنسان ، قال مسؤول الوردية وهو يضحك ملأ شدقيه إنك تتعثر في حياتك وديونك تزيد ولا تنتج ما يكفي للحصول على المال لسداد إيجار مسكنك أو اقتناء سيارة مثل زملائك ، وفي آخر الأمر إنني أنصحك .

صمم إبراهيم على موقفه ودخل إلى العمل – كان إبراهيم يفكر في زوجته الحبيبة وكان يفكر في ابنه المعاق وكان يفكر أن عليه أن يصحب زوجته وابنه إلى أحد المسارح لرؤية مسرحية كما يفعل كل أسبوع .

انتهى يوم العمل ، وحصل إبراهيم على نصف الراتب الذي حصل عليه الآخرون ، وذهب فاشترى طعاماً وشراباً وقطعة من الشيكولاته لابنه وذهب مسروراً إلى المنزل .

أعدت زوجته الطعام وأخذ إبراهيم يحكي حكايات مسلية وأخلاقية لابنه إسماعيل ، وبعد إعداد الطعام أكلا معاً وكانوا سعداء جداً ، ثم لبسوا ملابس السهرة وذهبوا إلى المسرح .

انتهت المسرحية وعادوا إلى المنزل ، وتناقش مع زوجته وابنه عن الجوانب الأخلاقية في المسرحية التي تدعو إلى الخير ورفض الشر ، ولكن الحديث انزلق إلى قضايا أخرى ، الزوجة قالت لزوجها أن أجر المنزل لم يدفع ، وهناك ابن أخيك

الذي يتصادف عيد ميلاده غداً ومن الصروري أن تذهب إلى بيت أخيك لمجاملته بهذه المناسبة .

قال إبراهيم اتركي الأمر لله ، فإننا ذاهبون في النهاية إلى الآخرة وسنجد نعيماً دائماً ، لأن كل تلك الأمور الدنيوية لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

قالت الزوجة: هذا صحيح تماماً ونحن سعداء رغم كل الظروف العصيبة .

***

صحا إبراهيم مبكراً وساعد ابنه على إعداد حقيبة المدرسة وحمله على كتفه واتجه إلى المدرسة ، كان سعيداً جداً أنه يساعد ابنه المشلول على التعليم ، وكاد الابن يشفق على أبيه من كثرة الأعباء ، ولكن الأب كان يخفف عنه ويقول أننا نقبل قضاء الله بكل سرور .

وصل الأب والابن إلى المدرسة ، وعرف أنه مطلوب لمقابلة مديرة المدرسة ، فذهب إليها وقال لها: السلام عليكم ، فلم ترد عليه وقالت: إنك تأخرت في دفع مصروفات المدرسة ولا بد أن تدفعها وإلا فلن نسمح لابنك بمواصلة التعليم لدينا يمكنك تعليمه في مكان آخر أو بنفسك .

عاد إبراهيم إلى المنزل محزوناً شيئاً ما ، وفهمت الزوجة ذلك وقالت له لابأس يمكنني أن أقوم بتعليم الولد بنفسي وتوفير مصاريف المدرسة .

عانقها إبراهيم وقبلها بحنان ، فهذه سيدة طيبة تقف إلى جوار زوجها وابنها ولم تتبرم أو تشكو قط .

ذهب إبراهيم إلى العمل متأخراً كعادته ، ورفض تناول المنشطات ودخل إلى العمل في الوردية ، قال لأحد العمال « ع » إنني ألاحظ أن عضلاتك تقوى يوما بعد يوم ، وأن أسنانك تزداد طولاً ، وأنك لم تعد قادر على مناقشة أية قضية أو تتذوق أي قصيدة شعر أو قطعة موسيقى .

ضحك العامل « ع » وقال ما فائدة هذه الأشياء ولكنني في المقابل أصبحت أمتلك سيارة وأنفق على لذاتي وأعيش حياتي بالطول والعرض .

قال إبراهيم ولكن هذا لا معنى له .

قال « ع »: تركت لك المسرح والموسيقى والشعر والأدب مقابل أنك تركت لي السيارة والمخدرات والخمر والنساء ، والرجال إذا أمكن .

في المساء ذهب إبراهيم إلى منزل أخيه وحضر مع زوجته وابنه عيد ميلاد ابن أخيه ، وأعطى لابن أخيه هدية عبارة عن اسطوانة عليها موسيقى لبتهوفن ، وفرح بها ابن الأخ فرحاً شديداً وشعر الجميع بالسعادة في ذلك الحفل .

عاد إبراهيم مع زوجته وابنه إلى المنزل ، ولكنه وجده مغلقاً وقد ألقيت قطع الآثاث خارج المنزل ، لأن صاحب المنزل قرر طردهم دون حتى أن ينذرهم أو يتحدث إليهم أو يعطيهم مهلة .

حمد إبراهيم الله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، وحمل مع زوجته بعض الآثاث وذهب إلى حديقة قريبة واتخذ من شجرة ظلاً له ووضع الآثاث وبعض الأقمشة لبناء خيمة بين الأشجار ولم يفقد تفاؤله .

قالت الأم ، لقد ذهبت واتفقت مع أحد المستشفيات على بيع كلية لأحد الذين يحتاجون إلى نقل كلية ، لكي نستطيع أن ننفق على حياتنا الصعبة ، قال إبراهيم ، سبقتك وفعلت الشيء نفسه .

حصل إبراهيم وزوجته على ثمن كليتين وعاش كل منهما بكلية واحدة وزاد هتمامهما بالابن المعاق ولم يفقدا صبرهما أو إيمانهما .

***

حدثت ظاهرة تحدثت عنها الصحافة في المدينة ، وهو أن الأطفال الذين

ولدوا حديثاً كانت أسنانهم طويلة وتشبه وجوههم وجوه الضباع ، وعلق إبراهيم على ذلك أنها بسبب المنشطات التي يتناولها العمال وأن علينا أن نرحل بسرعة من تلك المدينة ، حتى لا تفترسنا الضباع ، رحل إبراهيم وزوجته وابنه عن المدينة ، التي تحول كل أفرادها إلى ضباع يأكل بعضهم بعضاً وينهش بعضهم لحم بعض ولم يتبق في تلك المدينة إنسان واحد .

obeikan.com